سارة وهاجر

النساءُ هُنَّ النساء.. أجمل ما خلق الله - عز وجل- في الأرض، والمرأة لا تتغير حتى لو كانت زوجة أو أم نبي.

بطلتا هذا الفصل، هما زوجتا أبو الأنبياء وخليله إبراهيم عليه السلام، سارة، والدة نبي الله إسحاق -عليه السلام.. وهاجر، والدة نبي الله وأبي العرب إسماعيل -عليه السلام.

سارة ابنة هاران، هي زوجة خليل الله إبراهيم الأولى وأم النبي إسحاق، أبو النبي يعقوب الذي ينحدر من نسله سلالة أنبياء بني إسرائيل.. أتى ذكرها بالتوراة على أن اسمها ساراي، ثم تحول إلى سارة بعد وعدٍ قطعه الله لها بولد بعدما كانت عجوزًا عاقرًا، كما ذُكرت الحادثة في القرآن من دون تسميتها، وقال المفسرون المسلمون إن المرأة المذكورة في الآية هي السيدة سارة.

أما السيدة هاجر أم النبي إسماعيل، فهي امرأة عبرية.. كما أنها مذكورة في كتب بني إسرائيل، واختصها الله لتكون من أطهر نساء الأرض وتتزوج نبي الله إبراهيم وتنجب منه نبي الله إسماعيل عليهما السلام، وذكرت كتب اليهود أن السيدة هاجر، عليها السلام، كانت جاريةً مصرية، كما أن بعض الكتب نفت أن تكون جارية، وقالت بأنها كانت أميرة، وكانت ابنة فرعون مصر، بينما ذكرت كتب أخرى بأنها كانت ابنة أحد الملوك الكنعانيين، والذي قتل على يد الفراعنة، ووقعت ابنته في الأسر، فأخذها الملك الفرعوني وأهداها إلى زوجة نبي الله إبراهيم سارة، حتى تكون جارية لها، ويحكى أنه في يومٍ من الأيام، أراد هذا الفرعون أن يواقع سارة رغمًا عنها، فقاومته، إلى أن تركها على أن يعاود الكَرة، فدعت عليه أن بالشلل، وبالفعل شُلَّت يده،

ولكنه حاول أن يستسمحها ويطلب منها الغفران، فأهداها هاجر، ودعت السيدة سارة، الله أن يشفيه وشفا الله يده بالفعل.

قامت سارة بتزويج هاجر إلى زوجها نبي الله إبراهيم، عليه السلام؛ لأنها وصلت سنًا لا تستطيع الإنجاب بعده، ولطالما أراد نبي الله إبراهيم ولدًا يخلفه في النبوة، وبالفعل تزوجها نبي الله وأنجبت له نبي الله إسماعيل عليه السلام، ولكن سارة كانت تغار من هاجر بصورة كبيرة؛ لأنها أنجبت ولدًا، في الوقت الذي كانت هي فيه عاقرًا، وكان نبي الله إبراهيم يدعو الله دومًا أن يعينه على العدل بين زوجتيه، فاستجاب الله سبحانه وتعالى لدعوة خليله وبعث بملائكته ليبشروا إبراهيم بولد آخر من زوجته سارة وهو إسحاق، وكان هذا بعد أن أصبح عمر إسماعيل خمسة سنوات.

بدأت الغيرة والمنافسة النسائية تتسلل إلى الزوجتين، ومن أجل الحد من المشاكل والخلافات بينهما، أمر الله إبراهيم عليه السلام بأن يأخذ هاجر وابنها إلى مكانٍ بعيدٍ عن سارة وابنها، وبالفعل نفَّذ أمر الله.

حمل إبراهيم زوجته وولده وبدءا في السير بين الوديان، أصبح إبراهيم كلَّما مرَّ على مكانٍ به نخل وزع يقول: أهنا يا رب؟ وإذا بجبريل يقول له أمضِ يا إبراهيم، فظل يسير هو وزوجته هاجر، إلى أن وصلا إلى مكة المكرمة، وكانا قد أخذا بعض التمر والماء في الطريق، ولكن عندما وصلا إلى هناك، طلب جبريل منه أن يتركهما هنا، وكان قد تبقى معها القليل من التمر والماء، فوضع إبراهيم زوجته وولده وتركهما حيث أمر، كانت هاجر خائفة وطلبت منه أن يبقى، ولكن سيدنا إبراهيم أخبرها أن الله سوف يرعاها هي وطفلها، صمتت هاجر لأنها واثقة في رحمة الله وحكمته، ولكن اشتد الحر عليها وعلى طفلها، ونفدت المياه التي كانت بصحبتها، والتمر أيضًا، واشتدت العطش على

سيدنا إسماعيل، عليه السلام، وبدأ في البكاء، وما كان من أمه سوى أن تبدأ بالجري في المكان، فتارةً تصعد على جبل المروة، وتارة أخرى تصعد جبل الصفا، لتنظر من حولها لعلها تجد من يساعدها، ولكنها لم تجد شيئًا، وبدأت تجري من هنا إلى هناك، تبحث عن ماء لطفلها، حتى أكملت سبعة أشواط، ووصل بها الحال أن أعياها التعب، فجلست بجوار طفلها إسماعيل الذي كان يضرب الأرض برجله من شدة البكاء والعطش، فإذا بالماء يتدفق من تحت أقدامه، وأخذت هاجر تشرب وتُسقي طفلها، وتضم الماء وتقول "زمي زمي"، فسمي المكان ببئر زمزم، فأصبح هذا الماء ماء مباركًا حتى يومنا هذا، وأصبح الجميع يشرب منه طالبًا الشفاء من الله، سبحانه وتعالى، وأن يعوضوا، كما عوض السيدة هاجر.

كان أمر الله الذي نفذه إبراهيم، عليه السلام، هو تمهيد لقدسية مكة المكرمة، بعد أن أقام سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل قواعد البيت الحرام بمكة، وأخذ الحجاج يتوافدون عليها من كل مكان حتى يومنا هذا.